سُورَةُ البَقَرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿1﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿2﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿3﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿4﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿5﴾

السورة التي بعدها، هي سورة البقرة، وهي سورة مدنية بالاتفاق، سورة الفاتحة مكية وقيل مدنية، وقيل نزلت مرتين، لكن هي أصلا سورة مكية، سورة البقرة مدنية، وعدد آياتها مائتان وخمس، وقيل أو ست وثمانون آية، وهي سورة عظيمة أيضا، وفضائلها كثيرة، ومن فضائلها قوله صلى الله عليه وسلم أن آخر البقرة {**لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** ..}البقرة٢٨٤، **(أوتيت ما لم يؤت أحد من الأنبياء من قبلي)** ثم تلا آخر سورة البقرة.

وفيها آية الكرسي وهي أفضل آية في آي القرآن الكريم، وقال صلى الله عليه وسلم **(اقرؤوا سورةَ البقرةِ ؛ فإنَّها لا تستطيعُها البطَلَةُ)**[1]، أي السحرة، وقال صلى الله عليه وسلم أن سورة البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة كالغمامتين، أو قال: كالغيايتين، أو كأنهما طير صواف تحاجان عن صاحبهما أو كما قال صلى الله عليه وسلم، والحديث ثابت في الصحيح.

مواضيع السورة كثيرة ذكر جل وعلا صفات أهل الإيمان، وذكر صفات الكفار، وذكر صفات المنافقين، وذكر خبر بني إسرائيل، وذكر شيئا من قصة موسى، وذكر شيئا من نسخ آي القرآن الكريم، وذكر قصة إبراهيم عليه السلام وبناءه للكعبة، وذكر تحويل القبلة، وذكر بعض الأحكام الشرعية

١ [صحيح الجامع١١٦٥]

المتعلقة بالأطعمة، وذكر بعض ما يتعلق بالحج، وذكر ما يتعلق بالمعاملات كآية المداينة، وذكر ما يتعلق بالربا، وغير ذلك من المواضيع.

لكن المقصد العام من السورة هي أنها جاءت مبينة للأصول العامة في الشريعة، أو المقاصد الخمس التي جاءت لها الشريعة، وهي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ العرض أو النسب، وحفظ المال، جاءت لتدل على هذه الأصول الخمس العظام، ولهذا نجد هذه المواضيع المختلفة الكثيرة في جملتها تدل على هذه المقاصد أو هذه الأصول الخمس.

قال جلّ وعلا {**الم**} هذه الحروف المقطّعة تفتتح بها السور، وهي حروف مقطّعة، والسور المفتتحة بهذه الحروف المقطّعة عددها تسع وعشرون سورة مفتتحة بهذه الحروف المقطّعة، ومنها سور مفتتحة بحرف واحد {**ن**}، {**ص**}، {**ق**}، ومن السور ما يفتتح بحرفين {**حم**}، {**يس**}، ومنها ما يفتتح بثلاثة أحرف {**الم**}، {**الر**}، {**طسم**}، ومنها ما يفتتح بأربعة أحرف {**المص**}، {**المر**}، أو خمسة أحرف {**كهيعص**}، ومثله {**حم عسق**}، فهذه السور تفتتح بهذه السور المقطعة، وهذه الحروف المقطعة عددها أربعة عشر، مجموعة في جملة (**نقص عسلكم**) و(**حيّ طهر**)، ويضاف إلى ذلك الألف، هذه الحروف بها تفتتح هذه السور.

وإذا جئنا لعددها نجد أنها نفس الأحرف الهجائية، كما أنه إذا أمعنّا النظر فيها، نجد أنها من الحروف الأصول في النطق واللغة العربية، وبعض العلماء يقول، هذا النصف أفضل من النصف الباقي الذي لم تفتتح به السور، وهذه الحروف في أصولها لها معان كما أشار إلى ذلك أهل العلم.

تكلم كثير من أهل العلم في المراد والمقصود من هذه الحروف، وبعضهم ذكر فيها ما يزيد على عشرين قولا، ولكن لا دليل على ما ذكر في ذلك، وأقرب ما يمكن أن يقال إن هذه حروف مقطّعة، افتتح الله عز وجل بها كتابه، أو بعض سوره والمراد من ذلك والحكمة من وراء ذلك أن هذا القرآن الذي هو كلام الله جل وعلا، إنما هو كلام فيه حروف عربية بمثل ما تنطقون به، ومع ذلك لا تستطيعون أن تأتوا بمثله أو قريب منه، كما تحدى الله جل وعلا العرب في ذلك.

ولهذا نجد كل سورة تُفتتح بحرف أو بالحروف المقطعة إلا وبعد ذلك ذكر الكتاب أو القرآن مثل هذه السورة {**الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ**}البقرة١-٢، وكذا سورة آل عمران، وكذا سورة الأعراف، ومثل ذلك أيضا يونس، وهود، ويوسف، والحجر، وسورة مريم، وطه، والشعراء، والنمل، والقصص، والعنكبوت، والروم، وغيرها من السور.

قال جلّ وعلا {**الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**}، {**ذَلِكَ الْكِتَابُ**} إشارة إلى القرآن، {**ذلك**} قال العلماء أي هذا، والعرب تستعمل اسم الإشارة (**هذا**) موضع (**ذلك**) و(**ذلك**) موضع (**هذا**)، وإلا فالأصل أن (**ذلك**) اسم الإشارة، إشارة إلى البعيد، اسم الإشارة هو (**ذا**) والكاف للخطاب، واللام للبعد، فتقول: ذا، وذاك، وذلك، فـ(**ذا**) للقريب، و(**ذاك**) لمن هو بعيد عنك مسافة متوسطة، و(**ذلك**) لمن هو بعيد وبعضهم يجعل المرتبة أو المراتب مرتبتين، القريب والبعيد (**ذا**) و(**ذاك**) و(**ذلك**)، فـ(**ذلك**) اسم إشارة، وأما (**هذا**) فهو للقريب.

الفائدة من استعمال هذا اسم الإشارة كما قال بعض العلماء (**ذلك**) للإشارة للبعيد للدلالة على علو مرتبته، وفضل القرآن الكريم، وأن له منزلة عظيمة.

{**الكِتَابُ**} هو القرآن، الكتاب مصدر بمعنى مكتوب، {**ذَلِكَ الكِتَابُ**} أي القرآن الذي يقرأه النبي صلى الله عليه وسلم، وجاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وبعض العلماء استفاد من هاهنا جواز جمع القرآن في المصحف، لأن القرآن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كان مفرّقا، وفي عهد أبي بكر جُمع، لكن أبا بكر لمّا جاء إليه عمر وقال، إن القتل قد استحرّ بأهل القرآن وحملة القرآن، فأرى أن تجمع القرآن بين دفتين، فقال أبو بكر: هذا أمر لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم فكيف أفعله، فقال بعض العلماء: في هذا إشارة إلى أن هذا القرآن يُجمع في كتاب، كما قال تعالى {**ذَلِكَ الْكِتَابُ**}.

{**لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**} يصح الوقف على {**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ**}، {**فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**}، ويصح الوقف {**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ**} ثم تقول {**هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**}، وهذا أولى، ليكون لفظ {**هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**} وصف للكتاب، {**هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**} صفة، أما إذا قلنا {**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ**} بعده {**فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**} صارت جملة مستقلة وإن كانت ترجع إلى الكتاب بالوصف أيضا.

وقوله {**لَا رَيْبَ**} أي لا شك، {**لَا رَيْبَ فِيهِ**} أي لا شك فيه، فإن قال قائل: الكفار يرتابون ويشكون فيه، فالمراد بـ {**لَا رَيْبَ فِيه**} في أصله، ليس باعتبار نسبته إلى غيره، ومن شك وارتاب واضطرب فيه فهذا لكفره وعناده.

وقوله {**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ**} خبر للمبتدأ {**هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**} خبر آخر أيضا، أو صفة للقرآن الكريم، والمراد بـ{**هُدًى**} أي أن فيه هداية، كما قال عز وجل {**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ**

أَقْوَمُ}الإسراء٩، وكما قال جلّ وعلا {**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**}البقرة١٨٥، فـ{**هُدًى**} بمعنى فيه الهداية وهو هادٍ.

وقوله {**لِلْمُتَّقِينَ**} جمع المتقي، والمتقي هو الذي امتثل الأمر واجتنب النهي، الذي جعل بينه وبين النار وقاية بالعمل الصالح واجتناب الحرام، والذي خاف الله سبحانه وتعالى بأن اتبع شرعه والتزم أمره، واجتنب نهيه.

وهنا قال {**هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**} وفيما يأتينا من سورة البقرة في أثنائها قال {**هُدًى لِلنَّاسِ**}البقرة١٨٥، ففي هذا الموضع أول البقرة قيدَ، وفي الموضع الثاني عمَّمَ، فالقرآن فيه هداية لجميع الناس، وتتحقق في من اتقى الله جلّ وعلا، وإلا فهو هداية لكل الناس، فالذي يقوم بهذه الهداية ويلتزم به كان ممن اتقى الله سبحانه وتعالى، فهو هدى للمتقين فعلا قياما، وهدى للناس علما ونظرا، وقد يقال {**هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**} كونهم من المتقين فقد اهتدوا به هداية توفيق وإلهام من الله تعالى، وأما {**هُدًى لِلنَّاسِ**} فالمراد هداية الدلالة والإرشاد.

{**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**} يؤمنون أي يصدّقون، وقوله {**بِالْغَيْبِ**} كلّ ما غاب عنك، ومن ذلك أصول الإيمان: الإيمان بالله جل وعلا، والملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقدر خيره وشرّه، فهذا كلّه مما يعتبر من الغيب، {**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**} يصدّقون بالغيب، أي كلّ ما غاب عنك، ومن ذلك البعث والنشور والجنة والنار، وبالنسبة لنا أيضا النبي صلى الله عليه وسلم، فهو غيب عندنا لأننا لم نره، وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم سئل (**يا رسولَ اللهِ أحدٌ خيرٌ منا أسلمْنا معك وجاهدْنا معك قال قومٌ يكونون من بعدِكم يؤمنون بي ولم يرَوْني**)[1]، فهذا فيه وصف عظيم، وهو من تمام الإيمان بالغيب، ولا يعني هذا أن من جاء بعد الصحابة أفضل، الصحابة هم أفضل لاشك ولا ريب، ولكن المراد بوصف الإيمان بالغيب.

{**وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ**} إقامتها أداؤها في وقتها وفي جماعتها وبشروطها وفرائضها وأركانها، من غير تضييع لها أو تقديم أو تأخير عن وقتها الذي شرعه الله تعالى.

{**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**} أي يعطون زكاة أموالهم، ويعطون ما يلزمهم من النفقات والصدقات، وكثيرا ما يأتي الاقتران بين الصلاة والزكاة في كتاب الله جل وعلا، في آيات كثيرة، وفعلهم هذا طاعة لله عز وجل وإخلاصا له سبحانه وتعالى.

[1] [السلسلة الصحيحة ٩٠٧/٧ : إسناده جيد]

{**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**} ما أنزل إلى النبي صلى الله عليه وسلم هو القرآن، وما أنزل من قبله الكتب السابقة، فنؤمن بها جميعها، ما من كتاب أنزله الله إلا ونؤمن به، لكن الذي جاءت تسميته في القرآن "**التوراة**" وأنزلت على موسى، "**الإنجيل**" وأنزل على عيسى، و"**الزبور**" أنزل على داود، و"**الصحف**" أنزلت على إبراهيم، و"**الصحف**" أيضا أنزلت على موسى، عليهم جميعا الصلاة والسلام.

{**وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**} الآخرة التي لا يوم بعدها مثل ما قبلها!، وإلا فالحياة بعدها موجودة، فالآخرة هي آخر هذه الدنيا، فلا يوجد بعد اليوم الآخر يوم مثل الأيام التي قبلها، فهي آخرة بالنسبة لما قبلها، وإلا فكما قال عليه الصلاة والسلام (**إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ينادى: يا أهلَ الجنَّةِ! خلودٌ فلا مَوتَ. ويا أهلَ النَّارِ! خلودٌ فلا مَوتَ**)[1]، فاليوم الآخر يعني يوم لا يأتي يوم بعده مثل الذي قبله، آخرة بالنسبة إلى التي قبلها.

واليقين هو أعلا درجات العلم، فهم يوقنون يقينا تاما، وعلما تاما، بيوم القيامة، وهو معنى قول الله سبحانه وتعالى {**الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ**}البقرة٤٦، أي أنهم يوقنون بذلك.

{**أُولَئِكَ**} الذين سبق ذكرهم، والصحيح أن كل ما سبق ذكره وصف لجنس واحد، {**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**} هؤلاء صنف واحد، لأن بعض العلماء قال: المراد بهذا هم أهل الكتاب، وبعضهم قال: هم العرب فقط، وبعضهم قال: الآية الأولى وصف للعرب، والآية الأخرى وصف لأهل الكتاب، والصواب أن هذا وصف لكل من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم واتبعه عليه الصلاة والسلام.

فهؤلاء وصفهم أنهم {**عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ**} أي على نور وبيان وبصيرة واستقامة على ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، {**وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**}، أي الناجون في الدنيا والآخرة، وهم المفلحون أي الذين طلبوا النجاة ووجدوا ذلك الذي طلبوه، فهذه آيات في وصف أهل الإيمان وهي أربع آيات، فيها وصف المؤمنين.

ثم تأتي بعد ذلك آيتان في وصف الكفار، وتتلوها ثلاث عشرة آية في وصف أهل النفاق، ولعل هذا نؤجله لدرس العصر، والله تعالى أعلم.

[1] [رواه الشيخان]

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.